عنوان البحث:

هدايات تسمية المسجد الحرام بيتاً

اسم الباحث/ـة

أ.د/ نبيل محمد إبراهيم الجوهري

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسّلام الأتمَّان الأكْملانِ الباقيان على أشرف المرسلين ورحمةِ الله للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين، وعنّي معهم بجودك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين، ثُمَّ أمَّا بعد:

فقد استرع انْتباهي ذكرُ المسجد الحرام بلفظ: البيت نكرةً أو معرفةً، موصوفًا أو غيرَ موصوفٍ، مضافًا أو غيرَ مضافٍ، خمس عشرة مرةً، وهذا العدد هو نَفْسُه عددُ ذكرِ المسجد الحرام في القرآن الكريم، بينما ذُكِرَ بلفظِ الكعبةِ مرَّتينِ اثْنَتينِ فقط،

فبَدَأْتُ أبْحثُ عن دلالةِ لفظِ: البَيْتِ، وسِرِّ التَّعبير به على كلِّ أحوالِه التي ذكرتها، فكان أنْ مَنَّ الله عَلَيَّ بهذا البحث المختصر، والحمد لله ربِّ العالمين.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة ،وتمهيد .

تمهيد: الألفاظ التي عبَّر بها القرآنُ عن المسجد الحرام.

المبحث الأوَّل: هداياتُ تسميةِ المسجد الحرام بَيْتًا.

المبحث الثاني: هداياتُ تسميةِ المسجد الحرام بَيْتًا موصوفًا بالعتيق.

المبحث الثالث: هداياتُ تسميةِ المسجد الحرام بَيْتًا موصوفًا بالحرام أو المحرَّم.

المبحث الرابع: هداياتُ تسميةِ المسجد الحرام بَيْتًا غير موصوفٍ.

الخاتمة.

والفهارس.

وقد اعْتمدتُ في اسْتنباطِ هذه الهداياتِ على الدَّلالةِ المُعْجميَّة، ثُمَّ على ما يَفتَحُ اللهُ عزَّ وجلَّ لي وما يَزِيدُني مِن بَسْطة في العلم، وما يُؤْتِيني اللهُ جلَّ وعلا في القرآن مِن الفَهْم.

وصلَّى الله وبارك وعظَّم وشَرَّف وسلَّم على نَبِيِّه المصطفى ورسوله المُجْتبى، والحمد لله أولًا وآخرًا، الحمد لله في الاسْتهلالِ والختام.

تمهيد

الألفاظُ التي عبَّر بها القرآنُ الكريمُ عن المسجد الحرام.

أولًا: المسجد الحرام: وَرَدَ اسْمُ المسجدِ موصوفًا بكلمة الحرام في القرآن الكريم مرادًا به الكعبةَ البيتَ العَتيقَ بلا خلاف خمس عشرة مرَّة، في سورة البقرة، الآية ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، وفي سورة المائدة، الآية: ٢، وفي سورة الأنفال، الآية ٣٤، وفي سورة التوبة، الآية ٧، ١٩، ٢٨، وفي سورة الإسراء، الآية الأولى، وفي سورة الحج، الآية ٢٥، وفي سوره الفتح، الآية ٢٥، ٢٧.

ثانيًا: الكعبة: وَرَدَ اسْمُ الكعبة في القرآنِ الكريمِ معرفةً مرَّتين فقط:

في سورة المائدة، في الآيتين ٩٥، ٩٧.

ثالثاً: البَيْت: وَرَدَ اسْمُ البَيْتِ مرادًا به المسجد الحرام في القرآن الكريمِ بلا خلافٍ خمس عشرة مرَّةً، ومرَّة مختلفًا فيها، فقد وَرَدَ أربعَ مراتٍ في ثلاثِ آياتٍ من سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]،

وقوله عزوجل:﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨]،

ومرَّتينِ في سورة آل عمران:قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]،

ومرَّتينِ في سُورةِ المائدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢]

وقوله ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧]،

ومرَّةً في سُورةِ الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥]،

ومَرَّةً في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وأربع مرَّاتٍ في ثلاثِ آياتٍ من سُورة الحج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

وقوله عزوجل: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٣]، ومَرَّةً في سُورة قريش قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [قريش: ٣].

ووَرَدَ مَوْصوفًا بالمَعْمورِ: (البيت المعمور) على خلاف في المراد به مرةً واحدةً في قوله تعالى ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ [الطور: ١-٤]، وذلك على أحدِ الأقوال المذكورة في الآية.

المَبحثُ الأَوَّلُ: هِداياتُ تَسْميةِ المَسجدِ الحرام بَيْتًا.

البَيْتُ: مكانُ السُّكونِ والاسْتقرارِ، وهو المأْوى والمآبُ وجمع الشَّملِ،

والأَصْلُ في ذلك أن يكون في الليل، لأنَّه زَمن السُّكونِ والاسْتقرار، قال الراغبُ: "أصلُ البيت: مأوى الإنسان بالليل، ويؤيد ذلك أن الله تعالى قابل بين البيات والقيلولة" [الأعراف: ٤]، وبين البيات والضحى [الأعراف: ٩٧، ٩٨]، وكلاهما في النهار،

وأصرح شيء في ذلك أن الله قابل بين البيات والنَّهار في قوله سبحانه ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠]، يقال: بَيَّتَ الْأَمْرَ إِذَا دَبَّرَهُ لَيْلًا، وَالْبَيَاتُ وَالتَّبْيِيتُ: أَنْ تَأْتِيَ الْعَدُوَّ لَيْلًا، كَأَنَّكَ أَخَذْتَهُ فِي بَيْتِهِ، ([1]).

والبيت عند العرب هو ما يعرف عندنا بالحجرة. ولأن الكعبة شَرَّفها الله تعالى على صورة الحُجرة سميت بيتًا.

وهي المراد بكل كلمة (بيت) إذا وردت في الكلام عن بناء إبراهيم البيت، أو عن عبادة رب البيت، أو عن الحج، أو وُصِف البيت بالمبارك، أو الحرام، أو العتيق، أو تقبيح المكاء عنده ([2]).

وأبرز هدايات تسمية المسجد الحرام بيتاً:

١. تسمية المسجد الحرام بيتاً تشير إلى أنه مأوى أفئدة المسلمين، والمكان الذي يجتمع فيه شملهم وتتحد كلمتهم مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم على مر التاريخ، وفي سائر الحضارات.
٢. وهو مرجعهم ومآبهم كلما اشتدت بهم الأزمات، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وتيقنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه، وعند ذلك يسرعون إلى بيته العتيق، بين طائف به ومصلٍ فيه، طائف يخلص فيه إلى ربه، أو مصلٍ يناجي فيه ربه، إذ بيته تعالى هو مكان الطمأنينة والسكينة والاستقرار والخشوع، فإذا جمع العبد بين الطواف والصلاة في زمن السكون والهدوء والطمأنينة والسكينة، وهو الليل، وفي مكان السكون والهدوء والطمأنينة والسكينة، بيته العتيق، فقد حاز الفضل كله.
٣. ثم إن البيت محل ضيافة الزائرين إذا اضطروا إلى ذلك واحتاجوا إليه، وكلما كان صاحب البيت كريما كانت الضيافة في أعلى درجاتها، فإذا كان هذا بيت الله، وهو أكرم الأكرمين، فإن المسلم لا يرجع من بيته سبحانه إلا وقد حاز الفضائل ونال المكارم، وأخذ حظه من ضيافة الكريم سبحانه.

([1]) مقاييس اللغة ٣٢٤/١، مفردات ألفاظ القرآن ١٥١، معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٧١/١، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٦٦/١-٦٧.

([2]) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٦٦/١.

المبحث الثاني: هدايات تسمية المسجد الحرام بيتاً موصوفاً بالعتيق.

العتق: لفظ يجمع بين القِدَمِ والكَرَمِ، خَلْقًا وَخُلُقًا، لأنّه خلوص الشيء من الشوائب، وبلوغه قوته وكمال حاله، قال ابن الأعرابي: كل شيء بلغ إناه قد عَتَقَ،

والعتيق: القديم الذي له مكانة ومنزلة، والعتيق: الكريم من كل شيء، يقال: مَا أَبْيَنَ الْعِتْقَ فِي وَجْهِ فُلَانٍ، أَيِ: الْكَرَمَ، ويقال لكل كريم: عتيق، والمرأة العتيقة: الجميلة الكريمة، وجارية عاتق: اكتملت أنوثتها، وبلغت المحيض، وَالْجَوَارِحُ مِنَ الطَّيْرِ عِتَاقٌ، لِأَنَّهَا تَصِيدُ وَلَا تُصَادُ، فَهِيَ أَكْرَمُ الطَّيْرِ،

والبيت العتيق: الكعبة، لِقِدَمِه، إذ هو أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، ولِكَرَمِه، ولِسلامته من كل سوء (١)، وبذلك وردت الروايات عن السلف (٢).

والخلاصة : أن العتيق من الأشياء هو: المتقدّم في الزمان، أو المكان، أو الرّتبة (٣)، أو في كل ذلك، كالبيت العتيق.

وأبرز هدايات وصف البيت بالعتيق:

١. قِدَمُ المسجد الحرام، فهو أول بيت وضع في الأرض للناس، وذلك ثابت بصريح القرآن وصحيح السنة.

٢. وإذا كان الشيء قديمًا قِدَمَ الوجود من الخَلْقِ والزمان ثم هو لا يزال باقيًا إلى وقتِ الناس هذا، فإنَّما يدلُّ ذلك على قامته وقيمته؛لأنَّه لا يكون على هذه الحال وتلك الصفة إلا لشيء في ذاته، أو لفضل فيه أودعه إياه وأبدعه خالقه وموجده ومبقيه،

ولما كان هذا البيت في ذاته من حجر لا ينفع ولا يضر بقي أن ندرك أن ذلك إنما كان لفضل أبدعه وأودعه إياه خالقه وموجده ومبقيه.

٣. قِدَمُ هذا البيت وفضله وكرمه إنما تَمَّ له لأنه بيت الله الذي له جميع صفات الكمال والجلال والجمال، ومن المعلوم بالضرورة عقلاً وواقعاً أنه لا يعظم البيت ولا يشرف إلا على قدر وجود ذلك في صاحبه، جَلَّ الله في علاه.

---

(١) مقاييس اللغة٤/ ٢١٩-٢٢٢، مفردات ألفاظ القرآن ٥٤٥، معجم ألفاظ القرآن الكريم ٧٤٠/٢، المعجم الاشتقاقي المؤصل ١٤٠٢/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٨/٥، ٤١٩، الدر المنثور ٤١/٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٥٤٥.

المبحث الثالث: هدايات تسمية المسجد الحرام بيتا موصوفاً بالحرام أو المحرم.

الحَرَام أو المُحَرَّم الممنوع فعله أو مسه أو رؤيته أو الاقتراب منه أو تناوله، المشدد في ذلك المنع، والتحريم عقلي وشرعي، وهو أيضا إلهي وبشري، ووصف البيت بالحرام أو المحرم من التحريم الشرعي(١)،

والحَرَم في الأصل: حيّز ممنوع تابع لشيء، أي: نطاق من الأرض تابع تُمنع فيه أمور وتصرفات معينة (٢).

وأبرز هدايات وصف البيت بالحرام أو المحرم:

١. تعظيم الله تعالى هذا البيت، وذلك بمنعه أمورًا فيه، بعضها يَحِلُّ في غيره، وبعضها محرم في غيره، فيشتد التحريم فيه حينئذٍ ويعظم.
٢. حرمة هذا البيت مستمدة من حرمة صاحبه.
٣. استشعار حرمة صاحب البيت وعلمه وقدرته، وذكر وعده ووعيده، مما يسهل على المسلم ترك ما حرمه الله فيه.

(١) مقاييس اللغة٢/ ٤٥، ٤٦، مفردات ألفاظ القرآن ٢٢٩، ٢٣٠، معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/٢٤٩-٢٥١، المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/٤١٦-٤١٨.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/٤١٦.

المبحث الرابع: هدايات تسمية المسجد الحرام بيتا غير موصوف.

جاء لفظ البيت معرفاً بأل دون وصف أو إضافة البيت إلى شيء سبع مرات، انفردت الآية السابعة بالإشارة إليه باسم الإشارة للقريب (هذا) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾،

وهذه الآيات السبع هي قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة/ ١٢٥]، وقوله عز وجل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة/ ١٢٧]، وقوله سبحانه ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة/ ١٥٨]،

وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله جل وعلا ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله سبحانه ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦]، وقوله عز وجل ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣].

هدايات تسمية المسجد الحرام (البيت) بالتعريف:

١. إذا كان التعريف للعهد فهو إشارة إلى معهود معروف، لا سيما في قوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، فمعرفته واضحة بالإشارة إليه؛ لأنه موجود أمام أعين قريش، أو كالمرئي المشاهد أمام كافة المسلمين غير حاضري البيت.
٢. وهو بذلك معهود حاضر حضوراً ذهنياً معهوداً عند كل المسلمين، وحاضر حضوراً إيمانياً خاصًا معهوداً عند الخاصة منهم، وحاضر حضوراً ذكرياً في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.
٣. وإذا كان التعريف للجنس أو الاستغراق فهو البيت الذي لا يصلح ولا ينبغي أن يُسَمَّى سواه بيتاً؛لأنه المكان الوحيد الذي يجمع كل صفات البَيَات، فهو وحده الحقيق بالمأوى، والمآب، وجمع الشمل، وهو المكان الوحيد الذي يوجد فيه السكون والطمأنينة والاستقرار.

وجاء لفظ البيت معرفا بالإضافة إلى ضمير المتكلم أو المخاطب الذي يعود في كل منهما إلى الله تعالى في آيتين، الثانية منهما جمعت بين الإضافة إلى ضمير المخاطب، ووصف البيت بكونه محرماً ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، وهما: قوله تعالى ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة/ ١٢٥]، وقوله سبحانه ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

هدايات تسمية المسجد الحرام بيتا بالإضافة إلى الضمير:

١. تعظيم البيت وتشريفه، لِعِظَمِ المضاف إليه وشرفه، وهو الله تعالى.

٢. الإشارة إلى حرمة البيت وعِظَمِ الذنب عنده.

٣. الإشارة إلى عطاء الكريم سبحانه عند ذلك البيت، فهو بيت الجواد الكريم جل في علاه، والكريم يكرم كل من أتاه في بيته.

وجاء لفظ البيت نكرة (بيت) مضافاً إليه أول، وموصوفاً بجملة من الصفات على خلاف في بعضها مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

هدايات هذا الأسلوب:

١. إضافة أول إلى بيت النكرة تفيد التخصيص، بل العموم، فكأنه قيل: إن هذا البيت هو أول البيوت التي وضعت لعبادة الله.

٢. وصف البيت بالأولية يجمع بين أولية الزمان المدلول عليه بصحيح الحديث، وأولية الفضل والمنزلة والمكانة المدلول عليها بهذه الصفات المذكورة.

٣. أولية الزمان تُشْعِر بوضع البيت (وجوده) قبل الناس، فلو قلت: وضع الطعام للضيوف عرف من ذلك أن الضيوف ليس لهم يد في وضعه، والبيت لم يضعه الناس، بل وُضِعَ لهم.

٤. ذكر مكة في هذه الآية بلفظ البك (بكة) الذي يدل على القوة والشدة والمغالبة يتناسب مع أولية الزمان والفضل، فهو أشرفها منزلة وأقواها مكانة.

٥. وصف البيت بالحال المؤسسة المتغيرة (مباركاً) وما عطف عليها (وهدى) يدل على حصول هذا الهدى وهذه البركة لمن يأتيه، ويقبل عليه بقلبه من سائر العالمين، وهذا يؤكد أولية الفضل والمكانة والمنزلة، لما فيه من البركة والهدى.

٦. وتزداد المكانة والمنزلة والفضل يذكر أن فيه آيات بينات، منها مقام إبراهيم، وبالإخبار بأمن من دخله، على حقيقة الخبر، أو أمراً شرعياً، أي: اجعلوا من يدخله آمنا، ولا تخيفوه.

٧. ولفضل هذا البيت ومكانته ومنزلته أوجب الله تعالى على المستطيع من الناس الحج إليه.

الخاتمة

أسأل الله تعالى بكرمه ومنه حسن الخاتمة، رب أحسن عاقبتي في الأمور كلها وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

أولاً: أبرز النتائج:

١. ورد اسم المسجد موصوفاً بكلمة الحرام في القرآن الكريم مرادا به الكعبة البيت العتيق بلا خلاف خمس عشرة مرة، وورد اسم البيت في القرآن الكريم مرادا به المسجد الحرام بلا خلاف خمس عشرة مرة، ومرة مختلفاً فيها، بينما لم يرد اسم الكعبة في القرآن الكريم إلا مرتين فقط.

٢. ورد لفظ البيت مراداً به الكعبة معرفاً موصوفاً بالعتيق مرتين، ورد لفظ البيت مرادا به الكعبة معرفا موصوفا بالحرام أو المحرم ثلاث مرات.

٣. وجاء لفظ البيت معرفاً بالإضافة إلى ضمير المتكلم أو المخاطب الذي يعود في كل منهما إلى الله تعالى في آيتين، الثانية منهما جمعت بين الإضافة إلى ضمير المخاطب، ووصف البيت بكونه محرماً.

٤. جاء لفظ البيت معرفاً بأل دون وصف أو إضافة إلى شيء سبع مرات، وجاء لفظ البيت نكرة موصوفة مرة واحدة.

٥. تدل تسمية المسجد الحرام بيتا، نكرة أو معرفة، موصوفاً أو غير موصوف، مضافاً أو غير مضاف، على أنه مكان السكون والهدوء والطمأنينة والاستقرار، وهو المأوى والمآب وجمع الشمل، وهو موضع الكرم والفضل والعطاء والجود والبركة والهدى وغير ذلك.

٦. كما تدل تسمية المسجد الحرام بيتاً ووصفه بالعتيق أو الحرام أو المحرم على فضله وشفه ومنزلته، وحرمته.

ثانياً: التوصيات:

١. الالتفات إلى الدلالات المعجمية وأثرها في استنباط الهدايات في البحوث العلمية

٢. أثر الدلالات المعجمية وتنوعها حسب صيغها المختلفة، فلكل صيغة دلالتها.

هذا ما يسر الكريم سبحانه به، والحمد لله رب العالمين.

أبرز المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد سلامة، (دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

٢. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٣١٧هـ، ١٩٩٦م).

٣. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل (ت: ١٤١٦هـ)، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٤. معجم ألفاظ القرآن الكريم، أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ.

٥. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط ٢، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٦. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.